مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديميةISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 01 ص.ص: 734-749

جدل المحلّي والعالمي من منظور أدْريان مَارينُو، نحو التوجُّه إلى مُراجعة مصطلح الأدب العالمي

Local and global controversy from the perspective of Adrian Marino, towards Reviewing the term World literature

فوزي لدزر، جامعة المدية، (الجزائر)، ladzarf@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 2023-01-09 تاريخ قبول المقال: 2023-04-23

الملخص:

لا يزال الجدل بين مَحليّة الأدب وعالميّته قائما على أشُدّه في زمن العولمة و احتكاك الثقافات بعضها ببعض، حيث أصبحت النّتاجات الثقافيّة والأدبيّة تنتشِر في العالم بسرعة هائلة، خاصّة مع توفُّر شروط التفاعل الثقافي التي يسّرت وسهّلت عملية المُثاقفة، ولكن رغم ذلك تجدُ بعضُ الأعمال الأدبيّة صُعوبةً كبيرةً في طريق الارتقاء إلى مصافِّ العالميَّةِ على الرّغم من جودتها الفنيّة وعبقريّة مؤلِّفها وإجماع النقاد على فنيّتها وجماليّتها، لأنّها لم تجد المُترجِم الكُفءَ الذي يُخرجها إلى دائرة الضوء، وبسبب المعايير المُعتَمَدة في تقييم الأعمال كونُها معايير غربيّة بامتياز. وفي هذا السياق ظهرت أصواتٌ تُنادي بضرورة مُراجعة مُصطلح الأدب العالمي وإعادة النظر في المعايير المُعتمَدة، إذ يُعتبَرُ النَّاقد الرومانيّ "أدْريان مَارينُو" أعلاهُم صوتاً.

الكلمات المفتاحية: جدل المحلّي والعالمي– الأدب العالمي– أدْريان مَارينُو.

Abstract:

In the era of globalization and acculturation marked by the quick spread of cultural and literary produces in the world, controversy over the local or global character of literature is still intense. This is mainly due to cultural interaction that facilitated the process of acculturation. However, some literary works , because of the lack of competent translators who would bring it into attain universality. They fail to achieve it, despite their literary quality, the high craft of their authors, and the critics agreement on their technicity and aesthetic value. Furthermore, as the standards used to evaluate works are purely western, some new voices are pointing out the need to review the term world literature and reconsider the approved assessment criteria. This is the case of the Romanian critic Adrian Marino, who is most prominent thinker to act for this purpose**.**

Key words : Local vs Global –World literature – Adrian Marino.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديميةISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 01 ص.ص: 734-749

مقدمة:

رغم أن دلالة مصطلح " الأدب العالمي" تُوحي بدراسة آداب العالم أجمع، إلّا أنَّه في الاستعمال يقتصرُ على الآداب الغربيّة، حيث يرى الباحثون الأوروبيُّون أنّ الأدب الأوروبيّ الكلاسيكيّ والمعاصر هو الذي يمثِّل الأدب العالمي، وأن الآدابَ الشَّرقيَّةَ تقع خارج نطاق الأدب العالميّ لأنّ نتاجاتها الأدبيَّة لم تصبح بعدُ في متناول البشريّة بأسرها. ومن هنا تمحورت هذه الدراسة حول الجدل القائم بين المحلّي والعالميّ، إذ أنّ ما يُزكِّي عملاً أدبيّاً كي يأخُذَ مكانَهُ في قافلة الأدب العالمي لا يعود إلى عبقريّة الكاتب فحسب، وإنّما يرتبط بقيمٍ عالميَّةٍ ينطوي عليها العملُ نفسُهُ، غير أنّ عالميّة الأدب مرتبطة بمستوى الحضارة التي يمثِّلُها، ومن ثمَّ تتدخَّلُ عوامل إيديولوجيّة، ومعايير غيرُ أدبيَّة في عالميّة الأدب.

إشكالية الدراسة:

لقد سقطت أعمالٌ شرقيّةٌ كثيرةٌ من حظيرة الأدب العالمي بسبب دلالة مصطلح الأدب العالمي الذي يشير إلى الأدب الغربي ويُقصِي الآداب الشَّرقيّةَ، وهو ما دفع ببعض النقّاد للدّعوة إلى مُراجَعة مصطلح "الأدب العالمي". **فما هو فحوى هذه المُراجَعة؟ وكيف يمكن لهذه المُراجَعة أن تساهم في ارتقاء الأعمال الشَّرقيّة ومنها العربيّة إلى مصافِّ العالمية؟**

المنهج المُتَّبَع : الاعتماد على المنهج الموضوعاتي وفق مقاربة نقدية ثقافية.

المبحث الأول: الأدب العالمي، المصطلح، المفهوم والدّلالة.

المطلب الأول: مفهوم العالميّة في مُختلف الثَّقافات وعبرَ العصور.

لا وُجودَ للكلمة إلّا في علاقاتها بالكلمات الأخرى، فهي تعيش في حياة يومية تُؤَمِّنُ حياةَ البشر وتعارُفَهم، ومن هنا فهي تقدِّمُ ذاتها كحاملٍ إيديولوجيّ، وهي بذلك لا تتحقَّقُ في الاستعمال إلّا بفضل الايدولوجيا التي تُلازِمُها،والكلمة بهذا التعيين تُحيل إلى التاريخ والمُجتمَع، وتستوعِب التَّحوُّلاتِ التّاريخيّةَ والاجتماعيّةَ، ولها مآلُ العلاقاتِ التاريخيّةِ والاجتماعيَّةِ التي لا تكفُّ عن التبدُّلِ والتغيُّرِ، لأنَّ التغيّرَ الدّلاليَّ مرتبطٌ بالتغيُّرِ الحضاريّ، إذ لا وُجود لكلمةٍ طاهرةٍ مكتفيةٍ بطُهرها، كونها لا تنفصل في الاستعمال عن مضمونٍ إيديولوجيٍّ مُحايِثٍ لها، «**فالكلمة مُحمَّلة دائما بمضمونٍ إيديولوجيّ أو وقائعيّ، على هذه الشَّاكلةِ**

نفهمُها، ولا نَستجِيب للكلماتِ التي لا توقظُ فينا أصداءَ إيديولوجيَّةً أو ليس لها علاقةٌ بالحياة »[1] فيَنشأُ المصطلح نتيجةَ تغيُّرٍ دلاليّ يطرأُ على الكلمة، وهذه الدلالة تتغَّيّرُ انطلاقا من صَيرُورةِ المصطلح ضمن مراتبَ مُتعاقبةٍ، وأزمنَةٍ وعُصُورٍ مُختلفة، فالمُفردات اللُّغويّة، والمُصطلحات ليست ثابتَةً بحكم تأثُّرها بظروفِ المُجتمع وتغيُّرِ الثقافة، وتطوُّر العلوم، وتعدُّدِ التيَّاراتِ الفلسفيَّةِ والاتجاهاتِ الفكريّةِ، حيث يقول الفيلسوف اللُّغويُّ الفرنسيُّ "جوزيف فندرس": «**إنَّ الحياة تشجِّع على تغيُّرِ المفرداتِ، لأنَّها الأسباب التي تؤثِّرُ في الكلمات، فالعلاقاتُ والمُدَدُ المُتنوّعةُ تعملُ على تغيُّر المفرداتِ، وتقضي على الكلمات القديمة وتحوِّرُ معناها، وتشطب خلقَ كلماتٍ جديدةٍ، ونشاط الذّهن يُستدعَى دائما للعمل في المفردات**»[2]ومصطلح العالميَّةِ من بين المصطلحاتِ التي تأثَّرت دلالاتُها بتغيُّرِ الثقافاتِ عبرَ العصور والأزمنة، ما جعله يحملُ دلالاتٍ مختلفةً، خاصَّةً مع ظهورِ اتجاهاتٍ نقديّةٍ جديدةٍ.

العالميّة مفهومٌ قديمٌ، وقد تعدّدت دلالاته وصُوَرُه عبر الثَّقافاتِ وفي مختلَفِ العصورِ، ورغم أنَّه ارتبط بالشَّاعر الألماني "جُوته "الذي روَّج له في القرن الثامن عشر، إلّا أنَّ المصطلح أسبق منه، حيث يعودُ إلى "أرسطو" الذي عنى به « **تصويرُ الشِّعرِ للإنسانِ كما يُمكنُ أن يكونَ أو كما لابدَّ له أن يكونَ لا كما هو كائِنٌ بالفعل**»[3] حيث ربط المفهوم بالمثاليّة.

كما ارتبط ظهورُ مفهوم العالميّةِ، بانفتاح الأوروبيِّ على الآخر في محاولة لاستبطان الذَّاتِ، والبحثِ عن بدائِلَ للوضعِ الرَّاهنِ المُهتَزِئ، حيث«**سمح اكتشافُ الآخرِ للفلاسفة الفرنسيين نقدَ السُّلطةِ المركزيَّة ورفضِ الإقليميَّةِ، والاعتقادِ في إنسانٍ كونيٍّ مُدرَجٍ في الأبعاد الزّمانيّةِ والمكانِيَّةِ للتاريخ، ومُتناقضٍ مع الإنسان الكونيّ للكلاسيكيّة.** »[4]

[1]– ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة: محمد البكري ويمنى العيد، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1986، ص23.

[2]– جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدّواخلي، محمد القصاص، تقديم، فاطنة خليل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص247.

[3]– ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ،الطبعة الرابعة المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان ، 2005نص186.

[4]– مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، الطبعة الأولى، دار ميم للنشر، الجزائر، 2011 ، ص67.

أمّا في العصر الحاضر، فيشيعُ استخدامُ العالميَّةِ بوصفها «**حالةً من الانتشارِ والأهميَّةِ يكتسبُها النِّتاجُ الأدبيُّ أو الثقافيُّ عموما حينما يخرج عن حدوده الإقليميَّةِ الوطنيّة (المحليّة) ويُصبحَ معروفًا أو مقروءًا في مناطقَ أخرى من العالم**».[1] ليصبحَ الانتشارُ والمقروئيّةُ من بين أهمِّ معايير ومؤشّرات العالميّة.

وعند تتبُّعِنا لدلالات مصطلح العالميّةِ في الثقافة الغربيَّةِ المُعاصرَةِ، نجد أن الغربَ قد كرّسَ «**دلالة العالميَّة بوصفها لصيقةً بما يَصدُرُ أو يتَّصلُ به من أدب، ففي الثَّقافة الغربيَّةِ يشيعُ استخدامُ عبارة "أدبٍ عالميٍّ" للإشارة إلى الأدب أو الآداب الغربيَّةِ، سواءٌ وردت تلك الإشارةُ في النَّقد الأدبيِّ أو في عناوينَ كثيرةٍ من المختاراتِ الأدبيَّةِ، فنقرأ مثلاً "روائعُ العالم" أو "مختارات من الأدب العالميّ" أو "من المسرح العالميّ"، ثمَّ يَتبيَّنُ أنَّ العالميّةَ هنا تشيرُ إلى الغربِ تحديداً.** »[2]

و لقد وردت في التَّعاريف السّابقة للأدب العالمي، أسماءٌ أو أعمالٌ لكُتَّابٍ غربيين، دون الإشارة إلى الكتّابِ الشَّرقيين، علماً أنّ أُولَى الملاحم الكُبرى تعودُ إلى الشَّرق، فكثيراً ما نقرأُ أو نسمعُ عن ملحمةِ "جلجامش" التي تعود إلى حضارة ما بين النَّهْرَيْنِ في العراق القديمة، إضافةً إلى ملحمتي "المَهابْهَاراتا" و"الرّامَايانا" الهنديتين، والملاحم الفارسيَّة، حيث تُؤكِّد الدِّراسات أنَّها أقدمُ الملاحم، إلّا أنَّ أرْوعَ ما وصَلنا من الملاحم، هي الإلياذة والأوديسة لهوميروس بسبب العناصرِ المختلفة التي تتوفَّرُ عليها ، « **فلقد شَهِدَ مفهومُ الأدبِ العالميِّ مُنْذُ نشأته تعثُّراً، حيث بوَّأَ فيليب فان تيغم الأدبَ الفرنسيَّ المكانةَ الأولى بين الآداب العالميَّةِ وخصّه بالقدْحِ المُعَلَّى، كما أنّ كتاب (تاريخ الأدب العالمي . موسكو. منشورات توكا 1985) منحَ الأدبَ الغربيَّ حصّةَ الأسدِ.**»[3] فدلالة العالميّة مُرتبطة بالفهم الغربيّ.

أمَّا في الثَّقافة العربيّة فلا يكاد مفهومُ العالميَّةِ يختلف عن المفهوم الغربيِّ من حيثُ رُؤيتُها لهُ وقد تحدّد بإطار غربيٍّ كذلك، فـ « **الأدبُ العالميُّ في العالمِ العربيّ، هو بالدَّرجةِ الأولى الأدبُ الغربيُّ، والأديبُ العالميُّ هو غالبا الأديبُ الذّي اعترفَ به الغربُ، وينسحِب مثلُ ذلك على المذاهِبِ النَّقديّة والأدبيّة، فشرط**

[1]– ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص116.

[2]– المرجع نفسه، ص116، 117.

[3]– أدريان مارينو، الأدب العالمي، الكلمة والشيء، ترجمة: وتقديم عبد النبي ذاكر، منشورات القصبة، المملكة المغربية، 2017، ص3، 4.

العالميّة مرتبط بأصلها الغربيّ.»[1] فالغربُ يدّعي أنَّ المذاهبَ الأدبيَّةَ والنَّقديَّةَ الغربيّةَ صالحةٌ للبشر في كُلّ زمانٍ ومكانٍ.

كما أنّ الدّكتور"محمد غُنيمي هِلال" الذي يُعتبَرُ رائد الدّراسات العربيّة المُقارِنة فإنَّه يستعملُ مفهوم الآدابِ العالميّةِ بمعنى الآداب الأجنبيّة، إذ يَعتبرُ أنَّ مِحورَ البحوث المقارِنة ينبغي أن يكونَ الأدبُ القوميُّ في صلته بالآدابِ العالميَّةِ،ومن هنا فهو« **يَستخدمُ تعبيرَ الآدابِ العالميَّةِ بمعنى الآدابِ الأجنبيّة وهو استخدامٌ غيرُ سليمٍ لهذا التعبير وذلك لأن هناك أدباً عالميّاً واحداً يتكوّن من جملة الآداب القوميّة.**»[2] كما أنَّه يدعو الكُتَّابَ العربَ إلى الارتقاء بأعمالهم الأدبيّة للالتحاق بالرّكبِ العالميِّ الذّي يقصد به الغرب طبعا.

ومن هنا نستنتج أنَّ كِلا الرُّؤيتين، الغربيّة والعربيّة لمفهوم العالميَّة، تركنان لتأثير المركزيّة الغربيّة.

المطلب الثاني: أثرُ المركزيَّة الغربيَّة على مفهوم الأدب العالمي.

مُصطَلَحُ الأدب العالميّ مصطلحٌ يتَّسِمُ بالغموض، وليس لَهُ تعريفٌ واحدٌ متَّفقٌ عليه بين الباحثين، ويعودُ الفضل في بَلْوَرتِهِ للشَّاعر الألماني"جُوتَهْ" وذلك حين بشّرَ بنشُوءِ أدبٍ يكُونُ عبارةً عن تركيبٍ عظيمٍ واحدٍ تشارِكُ فيه البشريَّةُ جمعاء، وتشارك كلّ أُمّة من الأمم في صياغته، «**فاصطلاح Weltliteratur الأدب العالمي– وهو من وضع جُوتَهْ– شديدُ الفخامة بلا مناسبة، إذ يعني ضمناً أنَّ الأدبَ ينبغي أنْ يُدرَسَ على اتِّساعِ القارَّاتِ الخمس كلِّها، من نْيُوزيلنْدة إلى اسْلنْدة، وفي حقيقة الأمر أنَّ جُوتَهْ لم يكن يدور بخُلده مثل هذا المعنى، فقد استعملَ الاصطلاحَ ليُبشّرَ بوقتٍ تصبح فيه الآدابُ أدبًا واحدًا، والاصطلاح يحمل فكرةَ توحيدِ الآداب جميعِها في تركيبٍ عظيمٍ تلعبُ فيه كلُّ أمَّةٍ دورَها ضمن ائْتِلافٍ عالميٍّ**».[3]ورغم أنَّ الفضل يعود لجُوتَهْ في إدخال مُصطلح العالميَّةِ إلى الفكر الإنسانيِّ، إلّا أنَّنا نُلاحظ بعضَ الغموض في دعوته، وهو ما نلمسه من عبارة "شديد الفخامة بلا مناسبة" وهو ما جعله يعتقد بصُعوبَةِ تحقُّقِ الفكرة، لأنَّ الآثار الفكريَّةَ لأُمَّةٍ ما تصبح ملكيَّةً مُشتَرَكَةً لجميع الأمم، وما من أُمَّةٍ تقبل التَّخلّي عن خُصوصياتها، كما أنَّ هذا التركيبَ العظيمَ الواحدَ يقضِي على التَّنويعات التي تتحلّى بها الآدابُ القوميَّةُ

[1]– ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص118.

[2]– عبده عبود، الأدب المقارن، مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص12.

[3]– رينيه ويليك، أوستن وارن،نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب،الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1981، ص51، 52.

والتي هي مصدرُ ثراءِ الأدب، وفي المقابلِ نلاحظ أنَّ مصطلح "جُوتَهْ" ينطوي على مبادئ الاحترام المُتبادَل والتسامح فلم يكن مُرادُه من فكرة الأدب العالمي أن تتماثَلَ كلُّ الأُمَمِ في التفكير، لأنّ هذا التماثُلَ غيرُ مرغوبٍ فيه، وإنَّما المُرَادُ به « **الدّعوة إلى الاختلاف والتّنوُّعِ الذّي ينعكس في آداب الشُّعوب، ويَحِقُّ لها أن تسعدَ به، ولقد كانت رغبة جُوتَهْ، والأمل الذي يُمنّي به نفسَه، هو أن يؤدِّيَ التوسُّعُ المُستمِرّ في تيسير طرق الاتّصال إلى زيادة التقارب بين الشُّعوب، والتعرُّف عن كثبٍ على بعضها البعض، من خلال إنتاجها الأدبيِّ أيضا**».[1] كما يعود الفضل لـ "جُوتَهْ" أيضا في إعطاء صبغةٍ إنسانيَّةٍ لفكرة العالميّةِ، وإنْ بالغ فيها أحيانا، فلولاهُ لكان من المُمكِنِ « **أن تظلَّ العالميَّةُ مُرادِفَةً لمفهوم الإمبرياليَّة، وفرْضِ النَّمُوذَجِ الأوروبيّ على الدُّوَل المستعمرَة.** »[2] لذلك يمكن أن نقرأَ وجهة نظر جُوتَهْ قراءَتين مُتناقضتين، فإن اسْتحسنا نيَّةَ الكاتب، فإنّ فكرتَهُ حول عالميَّةِ الأدب تكون فكرةً مثاليَّةً، أمَّا إذا أسأنا النيَّة فإنَّنا نلاحظ أنَّ « **النَّمُوذجَ المُوحَّدَ الذّي يسعى جُوتَهْ إلى توحيدِ العالمِ تحت لوائِه هو النَّموذجُ الأوروبيُّ دون منازع، وهذا ما يُعزِّزُ المركزيَّةَ الأوروبيَّةَ السَّائدة آنذاك، بعبارة أخرى، رغم مثاليَّةِ فكرةِ العالميَّة وطابعها الإنسانيّ في ظاهرها إلّا أنَّها لم تَخْلُ من توجُّهٍ مركزيٍّ أوروبيّ في باطنها.** »[3] الأمر الذّي جعل النَّقد الثَّقافيَّ يهتمُّ بالبحث في الأنساق المُضْمَرَةِ الكامنةِ وراء جماليّةِ النُّصوص.

ولقد وظَّف "جُوتَهْ" مفهومَ العالميَّة بمعنى جُغرافي/ ثقافي يشير إلى دُول أوروبا، وكان هذا التحديدُ الجغرافيُّ/ الثَّقافيُّ أساسيّاً في مفهوم الأدب العالميِّ الذّي توصَّلَ إليه.وهو ما يجعل الشُّكُوكَ تطالُ مَقصِديَّةَ جُوتَهْ الحقيقيَّةَ.

وهناك مفهومٌ آخرُ للأدب العالمي، وهو جماع النَّماذج الإبداعيّة المُختَارِة، التي ابتدعتها البشريّةُ بأسرها، وبهذا فإنَّ الأدبَ العالميَّ يعني « **ذلك الكنزَ العظيمَ من الآثار الكلاسيكيَّة، كآثار هومير، دانتي، سيرفانتس، شكسبير وجُوتَهْ، مِمّن طبقت شهرتهم الآفاق، وكانت في القديم خدن الزَّمان، وبذلك يغدو الاصطلاح مُرادفا للرَّوائعِ، لمختاراتٍ من الأدب العالميّ ذات أهميَّة نقديَّة وتربويّة** »[4]وقريبٌ من هذا المفهوم، ما دعا إليه كلٌّ من "كلود بيشوَا" و "أندريهْ ميشال روسو" أي الرَّوائع الأدبيَّةُ التي تكتسب قيمةً عالميَّةً لها

[1]– كاترينا مومزن، غوته والعالم العربي، ترجمة: عدنان عباس علي، مراجعة د:عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، ص05، 06.

[2]– مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، ص68.

[3]– المرجع نفسه ، ص 69.

[4]– رينيه ويليك، أوستن وارن، نظرية الأدب، ص52.

صفةُ الدّيمومة، فالأدب العالميُّ بالنسبة إليهما يهتمُّ بتحديد وشرح ودراسة الرَّوائع الأدبيَّة باعتبارها تُراثَ الإنسانيَّةِ جمعاء،فهو يتعاملُ بشكلٍ رئيسيٍّ مع« **الإنتاجِ الأدبيِّ الذّي نال تقديراً عالميًّا على مدى الزّمن و أثبتَ مَقدرةً على الصُّمود مثل دون كيشوت والفردوس المفقود وكانديد و فيرتر، كما يتعاملُ ولو بشكلٍ أقلَّ تميُّزًا مع مؤلِّفي عصرنا الذّين نالُوا حُظوة كُبرَى خارج بلادهم مثل فوكنر وكامي وتوماس مان** »[1]ومع ذلك فقد تراجع كلٌّ من "كلود بشوَا" و"أندريهْ ميشال روسو" عن فكرتهما لأنَّه ليس هناك عملٌ مهما كانت روعتُه، بإمكانه أن يَصمُدَ عبر الزَّمن، خاصَّة مع تغيُّر الظُّروف عبر العصور وتغيُّر المعايير، فما كانت رائعةً في الماضي، قد لا تصبح كذلك في المُستقبل، وقد ترقى أعمالٌ إلى مصافِّ العالميَّة بتغيُّرِ المعايير.

وهناك تعريف آخر للأدب العالميّ، وهو« **الرَّوائعُ العظيمةُ، أي تلك السِّلسلةُ الأدبيَّةُ ذات السِّحرِ المُستمرِّ التي تجمع آثارَ هومير ودانتي وسرفانتس وشكسبير وجُوتَهْ وتولستوي ودوستويفسكي وطاغور وغارسيا لوركا وماركيز،إنَّ هذه الآثارَ وما في مُستواها مقروءَةٌ في كلّ أنحاء العالم، وفي كلّ العصور ومُعترَف بقيمتها الفنيَّة والفكريَّة، وهي التي تُؤلِّف عند الكثيرين مفهومَ الأدبِ العالميِّ كما هو مُستخدم في أيَّامنا هذه** »[2]ورغم أنَّ التعريف قد ركّز على معيار المقروئيَّةِ، إلّا أنَّه يبقى نسبيًّا، لأنَّ هناك أعمالٌ مَقروءَة في مُختلفِ بقاع العالم، لكنَّها غيرُ مُصنَّفة كروائعَ عالميَّة.

واستنادًا إلى التعريفات السّابقة، نستنتج أن مفهومَ الأدب العالميّ يقتصرُ على الأعمال الإبداعيّة ذات القيمة الفنيّة والجماليَّة العاليَّة، ولا يشمَلُ النِّتاجاتِ المتوسِّطة القيمة أو الظواهر السّطحيّة الشائعة في الآداب القوميَّة.وهنا نطرح السُّؤال الآتي: هل يمكن أن ترتقيَ الأعمال الرَّفيعة لكافة شعوب المعمورة إلى مصافِّ الأدب العالميّ؟

يرى بعض الباحثين الأوروبيين أنَّ الأدبَ الأوروبيَّ الكلاسيكيَّ والمُعاصرَ هو الذي يُمثّل الأدبَ العالميّ، وأنصار هذا الرأي لا يتحدّثون عن أوروبا كمفهوم جغرافي، بل يتصوّرونها كمفهوم روحيّ، وهذا يعني بالضرورة أنَّ الأدبَ العالميَّ هو الأدبُ المُشبّعُ بالرُّوح الأوروبيّة، أي أنّ هذا الأدبَ لا يمكن تمثُّلُهُ إلّا من منظور الثَّقافة الأوروبيَّة، وهذه وجهةُ نظرٍ ضيّقةٌ، حيث يرى هؤلاء أنَّ آداب الأُمَمِ الشَّرقيَّة تقعُ خارجَ نطاق الأدب العالميّ، وهي نظرةٌ مُتحيِّزَةٌ، تركنُ لهيمنة المركزيَّة الأوروبيَّة في تعريف الأدب العالميّ، إذ ترى

[1]– حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2003، ص58.

[2]– المرجع نفسه، ص39.

أنَّ الشُّعوبَ الشَّرقيةَ غيرُ قادرة على الإبداع، حيث يُؤَكِّد "ادوارد سعيد" أنّ النِّتاجات الكولونيالية خَدَمتْ فكرة الهيمنة، ويَعتبِرُ أنَّ الرّواية وُظِّفَت واستُغِلَّت لخدمة طموح الامبرياليَّة الغربيَّة التي مارست هيمنتَها عن طريق السَّرد، فيقول: « **لقد حصّنت الرِّواية والامبرياليَّةُ إحداهما الأخرى إلى درجةٍ عاليةٍ يستحيل معها، تبعا لما أطرحُه، قراءَةُ إحداهما دون أن أتعاملَ بطريقةٍ ما مع الأخرى.** »[1]

ولقد ارتبط الأدبُ الكولونياليُّ بالاستعمار، الذي عمل على تهميش ثقافة الآخر من خلال الإعلاء من شأن الأنا الأوروبيَّة، وإظهارِ الشُّعُورِ بالتفوّقِ والقُوَّةِ حيث «**يقوم السَّردُ الكولونياليُّ على بناءِ نمُوذَجٍ استيهامي، تقف وراءه عنصريَّة التفوُّق العِرقيِّ التي تتأسّس على تضخيم الأنا الإمبراطوريَّة وقدراتها، ما يُبَرِّرُ أطماعَها في السَّيطرة والقُوَّة.** »[2] وبالتالي يُشرعِن الاستعمارَ والغزوَ.

ويمكن أن نلْمسَ أثرَ المركزيَّة الغربيَّة من خلال نظرة تأمُّليَّة في التعاريف السَّابقة للأدب العالميّ، حيث نلاحظ كثرة الاسماء الغربيَّة، وإقصاء الكتَّابِ الشَّرقيين، إذ نجدُ في بعض الدِّراسات نقدًا مُتّصلا للتحيُّزات الكامِنة في مفهوم العالميَّة،« **فهذه الرُّؤية للعالميّة لم تحلْ دون تنامي نظرةٍ انتقاديَّةٍ حذرةٍ، لا تركن إلى هيمنَةِ المركزيَّة الأوروبيَّة في تعريف المفهوم، سواءٌ في الثقافة العربيَّة الحديثة، أوفي الغرب، أو في الثقافات غيرِ الغربيَّة المُعاصِرَة** »[3].

المبحث الثاني: نحوَ مُراجَعة مفهوم العالميَّة والأدب العالمي.

المطلب الأول: نقد مصطلح العالميَّة والأدب العالمي.

لقد تعرَّضت تلك الرُّؤية التي تركن لهيمنة المركزيَّة الغربيَّة في تعريف مفهوم الأدب العالمي إلى انتقاداتٍ واسعةٍ، ففي الثقافة العربيَّة الحديثة نجد أنَّ النَّاقدَ المِصريَّ"شُكري عيّاد" قد وقف«**ضدّ المركزيَّة الأوروبيَّة التي تُحدِّدُ معنى العالميَّة لدى الكثيرين، كما في كتابه المذاهبُ الأدبيَّة والنَّقديَّة لدى العرب والغربيين.** »[4] كما وجّهَ بعضُ النُّقاد المقارنين الغربيين مثل الباحثة الأمريكية "سوزان باسنيت" نقدًا للدِّراسات

[1]– ادوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب ،الطبعة الثالثة، دار الآداب، 2004، ص139.

[2]– سليمة مسعودي، الكولونيالية الجديدة وهولوكوست الهوية العربية، استشكالات ثقافية في حكاية العربي الأخير 2084 لواسيني الأعرج، العين الثالثة، تطبيقات في النقد الثقافي و ما بعد الكولونيالي، تأليف مجموعة من الأكاديميين، إعداد حياة أم السعد، تقديم وحيد بن بوعزيز، الطبعة الأولى، دار ميم للنشر، الجزائر، 2018، ص77.

[3]– ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص120.

[4]– المرجع نفسه، ص120.

المُقارِنة لتبنِّيهَا مركزيَّةً غربيَّةً في قراءة آداب العالم غير الغربي، أمَّا "رينيه اتيامبل" الذّي عُرِفَ برُؤيته المُتسامِحَةِ، وأفكارِه الإنسانيَّة، وتوجُّههِ المُتفتِّح على الآخرِ المُختلِف فقد "**احْتجَّ على مفهوم الأدب العالميّ المُتمركِز على الأعمال الأوروبيَّة والأمريكيّة، مُوليير، شكسبير، همنغواي..ودعا إلى أن يُوسَّع هذا المفهوم ليُغطِّيَ آدابَ الشَّرقِ والصّينِ والهندِ والعربِ وآدابَ العالمَ الثَّالثِ، وأكّد اتيامبل أنّ أهمَّ شروطِ العالميَّة هو التبادُلُ المُتكافِئ بين آدابِ الشُّعوب حتّى لا يأتيَ يومٌ ونجدَ فيه آدابَ أسيادٍ وآدابَ عبيدٍ**"[1]

ولعلّ أهمّ نظرةٍ انتقاديَّةٍ وُجِّهَتْ لمُصطلح العالميَّة، كانت تلك التي وجّهَها من يُسمَّونَ بالنُّقاد ما بعد الكولونياليين حيث يُعدّ الكاتب النيجيري "تشنوا أتشيبي" من أبرزهم، وذلك حين تساءَل عن موقف بعض النُّقاد الغربيين الذّين يُثْنُونَ على بعض روايات الكتَّاب الأفارقة التي تجاوزَت محلِّيَّتَها إلى نوع من العالميَّة، بما يجعل أحداثَها قابلةً للوقوع في الأجزاء الجنوبيَّةِ من القارة الأمريكيَّة، أو الأقاليم الجنوبيَّة من فرنسا وايطاليا، حيث يقول: "**إنَّ هذه العالميَّة لا يمكن أن تؤدّي بأحد من النُّقاد الأمريكيين لتأمّل حدوثها في رواية أمريكية تغيّرُ أسماءَ شخوصها من أسماء أمريكية إلى أسماء إفريقية، بالطّبع لن يخطر ذلك بِبَالِهم، لن يخطرَ لهم أن يَشكُّوا في عالميَّة أدبهم فبطبيعة الأشياء يصدُرُ الكاتب الغربيُّ مباشرة عن العالميَّة، وعلى الآخرين أن يُكافحوا لتحقيقها.**"[2] كما وَجَّهَ "أتشيبي" نقدَه لاستمرار العملِ بالمعاييرِ والقيمِ والأشكالِ الأورو– أمريكية ،وتمنّى قدومَ زمانٍ تزولُ فيه تلك النَّظرةُ الضَّيّقةُ للآداب اللّاأوروبيَّة، وقد لخّص أتشيبي ذلك في مقالته الخِصبة عن النّقد الاستعماري بقوله: " **أَوَدُّ أن أرى كلمة كونيّ universel وقد تمّ منعُها تمامًا من مُناقشات الأدب الإفريقي، وذلك إلى أن يأتيَ وقتٌ يتوقَّف النَّاسُ عن استخدامها مرادفًا للنَّزعةِ الأوروبيَّة الضَّيّقة التي لا تخدم إلّا نفسَها.** "[3]وقد أكّد هؤلاء النُّقاد أنَّ نقدَ القصِّ الإفريقيِّ انطلاقا من المركزيَّة الأوروبيَّة إنَّما يقوم على تصوُّر للكاتب الإفريقي والنَّظر إليه على أنَّه أوروبيٌّ مُبتدئ، وليس له من تقاليد يُباهِي بها سوى التقاليد الأوروبيَّة، وقد " **زعموا أن مثل ذلك التقدير يرفض القبولَ باستقلالِ الأدبِ الإفريقيّ، أو التسليم بحقِّه في أن تكون له قواعدُه ومعاييرُه القائمةُ على الثَّقافات والجماليَّات الإفريقيَّة،**

[1]– مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، ص70.

[2]– ميجان الرويلي، سعد البازعي المرجع السابق، ص121.

[3]– بيل أشكروفت، جاريث غريفيتيز، هيلين تيفين، الإمبراطورية ترد بالكتابة، آداب ما بعد الاستعمار، النظرية والتطبيق، ترجمة: خيري دومة، الطبعة الأولى، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص134.

كما أنَّهم تبعوا أتشيبي في رفضه للقيم الكونيَّة باعتبار أنها تُخْفِي وراءَها تمييزا إقليميًّا لأوروبا، ولا تعطي مِصداقيَّة للشُّعوب الإفريقيَّة. »[1] فمعاييرُ العالميَّةِ المعمولُ بها في تصنيف الآداب هي معاييرٌ غربيَّةٌ بامتياز.

نستنتج ممّا سبق، أن مصطلح العالميَّة ورغم الرّواج الكبير الذي عرفه منذُ أن أعلن عنه "جُوتَهْ" عام 1827، إلّا أنَّه لم يُضبَطْ بشكل نهائيٍّ، فتباينت الآراءُ بين مُؤيِّدٍ له ومعارض، وكذلك هو الحال بالنِّسبة لمصطلح الأدب العالمي الذي اختلف النقاد حول مفهومه ودلالته، حتى أصبحَ يشيرُ إلى تلك السِّلسلةِ الذَّهبيَّة من الأعمال الأدبيَّة التي قدَّمتْها قرائحُ من مختلف شعوب العالم، وتُرجِمت إلى اللُّغاتِ المختلفة، واكتسبَتْ صفة الخلود، وارتفعت إلى مصافِّ الرّوائع clasicss المُعتَرَفِ بقيمتها الفنيَّة والفكريَّة في كلِّ أنحاء العالم، مع ملاحظة هامَّة، وهي أنَّ هذه السِّلسلةَ ظلَّت حتى سِتِّينيات القرن العشرين تحت تأثير المركزيَّة الأوروبيَّة Euro-centralism، ولكنَّها أخذت تتَّسع بالتدريج لبعض الأعمال خارج نطاق الغرب، رُبَّما بتأثير نُمُوِّ التَّبادل الثقافيّ، أو التَّوسُّع في مفهوم الجوائز الأدبيَّةِ العالميَّةِ.[2] وبهذا التَّوسُّعِ النَّاجِمِ عن نُمُوِّ التَّبادل الثَّقافيِّ وفي مفهوم الجوائز الأدبيَّة كجائزة "نوبل" مثلا، فإنّ مفهوم الأدب العالميّ يقترب – إلى حدٍّ ما– من وجهةِ نظرِ "غُنيمي هلال" الذّي يرى أنَّ المُرَادَ من عالميَّة الأدب هو « **خروج الأدب من نطاق اللُّغة التي كُتِبَ بها إلى أدب لغات أخرى، إمَّا للإفادة منها أو وُرُود مَنَاهِلِها، وإمَّا لإمدادها بما به تَغْنَى وتكملُ في نواحيها الفنيَّةِ وموضوعاتها.** »[3]ولعلَّ هذه هي الغايةُ التي كان يطمح إليها جُوتَهْ من خلال صياغة مفهوم الأدب العالمي، رغم وجود اختلاف بينه وبين مصطلح عالميَّة الأدب الذي صاغه الدكتور غُنيمي هلال.

وعلى هذا الأساس جاءت الدّراسات ما بعد الكولونيالية« **لتؤرّخ لمرحلة جديدة من المُجابهة الثقافيَّة مع الغرب الامبريالي لأجل التَّأسيس لثقافة الاختلاف، تُعيد النَّظرَ في المقولات المعرفيَّة والثقافيَّة والأيديولوجيَّة التي جعلت الغرب مركزَ الحضارة ومركز الوجود، ومُشرّعًا لقواعد الحياة و العلاقات إنَّها مرحلة غير ثقافية، لا تُؤمِنُ بانغلاق الثقافات على نفسها، بل تُؤكِّد أنَّ الثَّقافاتِ هي كياناتٌ هجينَةٌ لأنَّ**

[1] – المرجع السابق، ص165.

[2]– فضيلة مادي، دور عالمية الأدب ومذاهبه في تطور الأدب وظهور أجناسه الأدبية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، المركز الجامعي العقيد آكلي محند أولحاج، البويرة، الموسم الجامعي2011–2012، ص31.

[3]– محمد غنيمي هلال ،دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص27.

التَّاريخ البشريَّ هو نتاج سلسلةٍ من التَّفاعُلات التَّاريخيَّة والحضاريَّة والثقافيَّة.»[1]وهذا هو حال الهويَّة ،فلا وجود لهويَّةٍ صافيَّةٍ نقيَّةٍ كما تدّعي بعضُ الكيانات، بل هي نتاج سلسلة من التَّفاعلات الثقافيَّة، ولا يمكن أن تنغلق الهويَّة والذّات على نفسها لأنَّ مصيرها في هذا الحال هو الاندثارُ.

وانطلاقا من اختصاصه كناقدٍ ما بعد كولونيالي، يتبنَّى"هومي بابا" الفكرة نفسَها، عند تناوله قضيَّة المقارنة على أساس التأثير والتأثّر، أي كيف تؤثِّرُ آداب الميتروبول في آداب الحوافّ إذ يقول: « **يتسنّى لدراسة الأدب العالميّ أن تكون تلك الدِّراسة التي تأخذُ في الحسبان الطريقة التي تتعرَّفُ بها الثقافاتُ على بعضها البعض بواسطة إسقاطاتها الغيريَّة، يسمح لنا اليوم أن نقترح بعد ما كانت عمليَّة تناقلُ التُّراثاتِ القوميَّة هي المحورُ الرئيسُ لأدبٍ عالميٍّ، إنَّه باستطاعتنا اليومَ جَعْلُ التواريخ عبر القوميَّة للمُغتربين والمستعمَرين والمنفيين السِّياسيين بمثابة أرضيَّة لأدب عالميٍّ لا يكون قلب هذه الدِّراسات "سيادةُ" الثقافات القوميَّة، ولا كُلّيَّانِيَّة الثَّقافةِ الإنسانيَّة، بل ستكون هذه الإزاحات الاجتماعيَّة والثقافيَّة الغربيَّة.**»[2]وهذا القول، يُوضّح التوجّهَ الجديدَ الذي ينحُوه الأدب العالميُّ في ضوء النقد الجديد والدِّراسات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية.

المطلب الثاني: أدْريان مَارينُو وضرورة مراجعة مفهوم الأدب العالمي.

يُعدُّ" أدريان مارينو" 1921– 2005 من رُوَّاد المدرسة السْلافيَّة للأدب المقارن، فقد أغنى الدَّرسَ المقارن في رومانيا، إن لم نقل أوروبا الشرقية برُمّتها، بدراساته الأدبيَّة المقارنة ونقده للأفكار الأدبيَّة، وإسهاماته في نظريَّة الأدب وتاريخه ونقده، ولا يُمكن فهمُ دراسته الجريئة المُتعلِّقة بمُراجعَة مفهوم العالميَّة والأدب العالميِّ إلّا في ضوء طروحاته التي تخصُّ نظريَّة الأدب والهيرمينوطيقا المقارنة، وجدليَّة المحلّي والعالميّ التي فصَّلها في كتابه القيّم (نقد الأفكار الأدبيَّة) المُترجَم إلى الرُّومانية من قِبَلِ "مانول فريدمان" سنة 1977، وترجَمهُ إلى العربيَّة الباحثُ المغربيُّ المرحوم محمد الرَّامي في إطار دبلوم الدّراسات العُليا تحت إشراف الدّكتور سعيد علُّوش الذّي عَمِلَ على نشره وفاءً لروح المُترجِم، وتكمُنُ أهميَّة وضرورة ترجمة هذه الدّراسة في تدليلها على قيمة ووجوب إدخال مفهوم الأدب العالميّ في إطار نظريَّة الأدب، وفي إطار المَسَار

[1]– لونيس بن علي، ادوارد سعيد، من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية، كيف نؤسس للوعي النقدي، دراسة نقدية،الطبعة الأولى،دار ميم للنشر، الجزائر، 2018، ص46.

[2]– وحيد بن بوعزيز، جدل الثقافة، مقالات في الاخرية والكولونيالية والديكولونيالية، الطبعة الأولى، دار ميم للنشر، الجزائر، 2018، ص38.

المقارنيّ وانخراطهما في المشروع العام لأدريان مارينو المتعلّق بإعادة النظر في الأدب المقارن (Repenser la littérature Comparée) ومن شأن ذلك كلّه أن يُعمّق مجالَ الأدب المقارن والعالميّ، ومجال النقد الأدبي وتاريخ الأدب، ويُعيد صياغة تلك المباحث، مثلما يُجدّدُ طبيعة العلاقة بين الأدبين العالميّ والقوميّ، وبالتّالي يعْتق المقارنيَّة الثنائية من عُنُقِ الزُّجاجة، أي ممّا يُسمَّى بأزمة الأدب المقارن، في سبيل الحُصول على مقارنيَّة عالميَّة حقيقيَّة وكلّيَّة، تشمل آدابَ المعمورة دون تمييز، مع احترام البُعدِ الاختلافيّ للأدب العالميّ، وتجاوُزِ المفهوم المُبسْتَر والمحافظ والرَّجعي للأدب العالمي المُؤسَّس على المركزيَّة الأوروبيَّة وتهميش الآداب الشَّرقية (اليابانيَّة، الصينيَّة، الهنديَّة والعربيَّة).[1]

ولا يخفى على أحدٍ أنَّ الأزمة التي رافقت عالميَّة الأدب أو الأدب العالمي قد انبثقت من تدخُّل صُورة الأنا/ الآخر في تحديد فضاء العالميَّة زمانا ومكانا، غير أنَّ المُثبِّطات الصُّورولوجية (Imagologique) المؤسّسة على تلوين الصُّورة الغيريَّة وفقا للذّات، لا ينبغي أن تُنسينا العوائق والصُّعوباتِ المنهاجية والنظريَّة والإجرائيَّة التي ساهمت في إقصاء سِمَةِ العالميَّة من حظيرة آداب شُعوب تقع خارج مدار المركزيَّة الأوروبيَّة، والشَّيءُ نفسُه يُقَالُ عن مَوضَعَة الأدبيَّة داخل الفضاء، وفي هذا الصَّدد رفض "مارينو" إخضاعَ الأدبيَّة للمركزيَّة الأوروبيَّة، لأنَّ الأدبيَّة – حسبَه – تنتمي إلى الأدب العالمي كلِّه دون تمييز، وتوجد في كلّ مكان، وفي كلِّ النصوص التي تمتلك هذه الخاصيَّة، كما تنتمي إلى كلّ آداب العالم. وبهذا يلتقي "مارينو" مع "اتيامبل" الذي يُلِحّ على أنَّه يجب التأمُّل في الأدب العالميّ (الحقّ) وفق توجُّهٍ جديدٍ لا يُلغي أيَّ أدبٍ أنّى كان، لَمِنْ شأنِهِ أن يُعطِيَ المسألة المُقارَنيّة بُعدًا عميقا ودلالةً واسعةً، وهكذا لا نستطيع بلوغَ أدب مقارن مُناضِلٍ وعالميٍّ حقٍّ – كذاك الذي يُطالب به "اتيامبل" ويزكّيه "مارينو" عن قناعةٍ راسخةٍ وبُعْدِ نظرٍ– سوى في ضوءِ المُراجعة الفِعليَّة التقدُّمية لمفهوم الأدب العالمي، ولا يمكن بلوغ ذلك إلا :

- بالتَّغلُّب على الصُّعوبات الإيديولوجيَّة والمنهاجيَّة.
- بالمزج بين المعيار الكيفي (الاستيتيقي) والمعيار الانتشاري (الفضاء – زماني)
- بِقَرنِ المُقارنة التاريخيَّة المُوسّعَة بالمُقارنة الجغرافيَّة الموسّعَة.
- برفض حدود التخوم الجيو– سياسية ومَكْرِ مقولة "الأمَمِ الصُّغرى".

[1]– أدريان مارينو، الأدب العالمي، الكلمة والشيء، ص03.

- بِخَلقِ مُقارنيَّة غير انحيازيَّة، تُروِّجُ لمفهوم جديدٍ للأدب العالمي، يرفض العنادَ الغربيَّ من أصله، ويُدير ظهرَه لاختزاليَّة المُؤسّسة الأدبيَّة الأوروبيَّة.[1]

إنّ التأمُّل في الأدب العالميّ الحقّ ودراسته– هذا الأدب المُشكَّل من آداب العالم كلِّها– هو مسعًى يهبُ المسألةَ بُعدًا ودلالةً آخرين، ذلك أنَّ هذا التوسيع لا مناص منه، فالأدب العالميُّ نفسُه مقولة تاريخيَّة، والنتيجة أن معطيات المقارنية تتبدّلُ أحيانا طفرةً واحدةً، في حين أنَّ أبعادَها الإيديولوجيَّة الجديدة، بل حتّى أبعادَها السِّياسيَّة تُطوِّحُ بها في أشدّ الراهنيات مباشرة، هذا هو فحوى ومرمى المُداخلة النّموذجيَّة التي تقدّم بها "رينيه اتيامبل" إلى المُؤتمر الرَّابع للجمعيَّة العامَّة للأدب المقارن سنة 1964، تحت عنوان "هل ينبغي مُراجَعة مفهوم الأدب العالمي Weltliteratur ؟

وها هو "أدْريان مَارينو" يُجِيب على تلك التَّساؤُلات التي طرحتها تلك المُداخلة بقوله: « **بطبيعة الحال ما عاد بمُكنة مفهوم الأدب العالميذِ أن يبقى مُطابقًا بدقَّة لبعض الآدابِ الغربيَّةِ الكُبرى (الأوروبيَّة والأمريكيَّة) وإنّما عليه أن يُصَاغَ من جديد، من هنا ينبثقُ الاعتراف بالآداب الصُّغرى، عبر إزالة الاختلافات النظريَّة المزعومة التي تفصّلها الآداب الكُبرى، وإنّ مَوضعة الآداب الصُّغرى في علاقتها بالعالميَّة** (l'universalité) **باعتبارها أجزاء لا تتجزَّأُ– تاريخيًّا وجماليًّا– من المجموع وبالتالي ردّ الاعتبار لها، واسترجاعِها إلى حظيرةِ الأدب المقارن، وتلك هي المُراجعة الأولى والأهمّ للمفهوم الجديد للأدب العالمي، إنها خطوة كُبرى نحو الأمام، وستكون ضخمة النتائج**»[2] ففي هذا القول دعوةٌ صريحةٌ من قِبَلِ" أدريان مارينو " لمُراجعة مصطلح الأدب العالميّ، وإعادة الاعتبار للآداب أو السّرديات الصُّغرى التي هُمِّشَتْ و أُقصِيَت من حظيرة الأدب العالمي، باعتبار أنّها ليست في مستوى السّرديَّات أو المرويَّات الكبرى، خاصَّة أن مرحلة ما بعد الكولونيالية هي مرحلة نهاية المركزيَّات، وبالتالي هي مرحلة يُعاد فيها رَدُّ الاعتبار للمُهمَّش والثَّانويِّ والتّابعِ الذّي أَهملتْ وأنكرت المركزيَّة الغربيَّة وجودَه ورفضت الاعترافَ به وبقُدرته على السّرد وتمثيل نفسِه بنفسِه. وبهذه المُراجَعَة يمكنُ للتّابع أن يُسمِع صوتَهُ ويُعبّر عن نفسه، ويكتبَ تاريخَه بنفسه عن طريق استراتيجية الرّدِّ بالكتابة، والتَّمثيل المُضادِّ، حيث عمل على محاولة إنشاء سرديَّة أخرى من أجل مُجابهَة تلك السَّردية التي صَوّرته بصُورة مُعيّنة كانت سلبيَّةً في مُجملها،مُحاوِلةً إثباتَ صفاتٍ مُعيَّنةً من

[1]– أدريان مارينو، الكلمة والشيء، ص4، 5.

[2]– المرجع نفسه، ص08.

أجل مُمَارسةِ الهيمنةِ والتَّملُّكِ، حيث أصبح بمقدور المُهمَّش الآن أن يستعيدَ صوتَه المقموع، وتاريخَه المَنْسِيَّ، وأن ينخرط في مشروع مُقاومة الاستعمار ثقافيّا عن طريق الكتابة والإبداع.

الخاتمة

إذن، في ضوء الانتقادات التي وُجّهت لمصطلح العالميَّة والأدب العالمي، سواء من قِبَلِ بعض المقارنين الفرنسيين الذين كان" رينيه اتيامبل R.Etiemble " أعلاهم صوتًا، وسواء من طرف النُّقاد ما بعد الكولونياليين من أمثال "تشنوَا أتشيبي" أو من رُوَّاد المدرسة السلافيَّة للأدب المقارن وعلى رأسهم الروماني"أدْريان مَارينو"، ومع توفُّر عواملَ وشروطٍ مساعِدةٍ على النَّجاح العالميّ في هذا العصر، مثل الجوائز الأدبيَّة العالميَّة، التي تُعدّ جائزةُ نوبل للآداب أشهرَها، إذ يُعَدُّ نيلُ هذه الجائزة مؤشِّرا على جودةِ العمل الفنِّيّ، وبمثابة اعترافٍ رسميٍّ بعالميَّة صاحبِه، بغضّ النَّظر عن شروطها ومعاييرها، يُمكن لمصطلح الأدب العالميِّ أن يكتسبَ حمولةً دلاليَّةً جديدةً، تلك الدّلالةُ التي بشّر بها "رينيه اتيامبل" من قبلُ، وبذلك يمكن أن يتوسّع مفهوم الأدب العالمي ليشملَ ثقافات الشَّرقِ وآدابَها كالعربيَّة، والشَّرق الأقصى كالثَّقافة اليابانيَّة والصِّينيَّة، وثقافاتِ العالمِ الثَّالثِ، مع ضرورة الانفتاح على الآداب غير الأوروبيَّة، وتجاوُز المفهوم الضَّيّقِ للأدب العالميِّ المُؤسَّس على المركزيَّة الأوروبيَّة التي سقطت بسببها الكثيرُ من الرَّوائع الشَّرقيَّة من قائمةِ الأدب العالميّ رغم إجماع النُّقاد على جودتها الفنيَّة، وبالتالي ضرورة مراجعة مصطلح الأدب العالمي ومعايير وشروط العالمية.

وبهذه المُراجعة فقط، يمكن أن نشهدَ مُستقبَلا بروزَ أسماء أخرى، وهي تُتوَّجُ بجائزة نوبل للآداب وتطرُقُ أبوابَ العالميَّة، بعد أن انتظرَ أدبُنا العربيُّ طويلا حتى تَمَّ الاعترافُ بعالميَّته، بحصولِ نجيب محفوظ – كأوَّل أديب عربيٍّ – على جائزة نوبل للآداب، ولِمَ لا يُتوَّجُ محمد ديب أو آسيا جبار مثلا بهذه الجائزة خاصّة مع إشادة النُّقاد في الدَّاخل والخارج بجودة أعمالهما، وعبقريَّتهما الفذَّة. وفي انتظار قدوم ذلك الوقت، لابُدَّ من الاهتمام بآراء النُّقاد حول ثنائيَّةِ المحلّي والعالميِّ خاصّة "رينيه اتيامبل" و "أدريان مارينو"، وتسليط الضّوء على أفكارهما لتحقيق النَّتائجِ المَرجُوّة في أقرب الآجال.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب.

1- أدريان مارينو، الأدب العالمي، الكلمة والشيء، ترجمة وتقديم عبد النبي ذاكر، منشورات القصبة، المملكة المغربية 2017.

2- إدوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة الثالثة، دار الآداب، 2004.

3- بيل أشكروفت، جاريث غريفيثيز، هيلين تيفين، الإمبراطورية تردُّ بالكتابة، أدب ما بعد الاستعمار، النظرية والتطبيق، ترجمة خيري دومة، الطبعة الأولى، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005.

4- جوزيف فندريس، اللُّغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، تقديم فاطنة خليل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.

5- حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن، عربيًّا وعالميًّا، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000.

6- رينيه ويليك، أوستن وارن، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1981.

7- سليمة مسعودي، الكولونيالية الجديدة وهولوكوست الهوية العربية، استشكالات ثقافية في حكاية العربي الأخير 2084 لواسيني الأعرج، في العين الثالثة، تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، تأليف مجموعة من الأكاديميين، إعداد حياة أم السعد، تقديم وحيد بن بوعزيز، الطبعة الأولى، دار ميم للنشر، الجزائر، 2018.

8- عبده عبّود، الدب المقارن، مشكلات وأفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

9- كاترينا مومزن، غوته والعالم العربي، ترجمة عدنان عباس علي، مراجعة عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة. د- ت.

10- محمد غنيمي هلال، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

11- مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، الطبعة الأولى، دار ميم للنشر، الجزائر، 2018.

12- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة ، المغرب، لبنان، ، 2005.

13- ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة محمد البكري ويمنى العيد، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر والتوزيع، 1986.

ثانيا: الرّسائل والمذكرات

14- فضيلة مادي، دور عالمية الأدب ومذاهبه في تطور الأدب وظهور أجناسه الأدبية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، المركز الجامعي العقيد آكلي محند أولحاج، البويرة، الموسم الجامعي، 2011، 1012.